

فالانطباع الأول الذي يمكن أن نخرج به من اختبار عدد من القصائد المختارة لبيان التنوع، هو أن ذلك التنوع كبير إلى درجة تبعث على الشك، أي أننا قد نعجز عن أن نرى فيها أكثر من براعة فائقة لفنان كان يستطيع أن يتحوّل إلى أي شكل ومادة، متى شاء، وقد نعجز عن استجلاء أية وحدة. وقد نُحمّل على التسليم بأن القصيدة الواحدة بعد الأخرى لها لحظتها «الشعرية» ونحن نعتقد مع ذلك أن اللحظات ليست إلا عرضية أو وهمية. وسيكون من الخطأ أن نفترض أن ليس هناك إلا قليل من القصائد التي يمكن اختيارها على أنها «شعر»، وأن نفترض، ضمناً، أن الباقي لا حاجة إلى قراءته. على أن المختارات التي يتم إعدادها بهذه الطريقة ستكون عشوائية، إذ لا يوجد حفنة من القصائد يمكن عزلها، على هذا النحو، عن الباقي، وسيكون ذلك مضللاً، لأن دلالة «القصائد» ستضيع مع الخلفية الخاصة «بالشعر»، مثلما تُفقد دلالة الشعر، إلا مع سياق النثر. وما من جزء من أعمال كيبلنغ، ولا فترة من عمله يمكن تقديرها على الإجمال دون أن تؤخذ الأعمال الأخرى في الحسبان. وفي النهاية فإن هذا العمل، الذي إذا دُرِس بصورة تدريجية يبدو أنه لا وحدة له وراء المصادفة الخاصة بالظروف الخارجية، ينتهي إلى إظهار وحدة من نوع بالغ التعقيد.

ولذلك فإذا قمت بلفت الإنتباه بوجه خاص إلى «داني ديفر» على أنها قصيدة غنائية من طراز قصيدة «غرفة الكوخ» التي تحقق إرهاب الشعر إلى حد ما، فليس ذلك بغرض عزلها عن القصائد الغنائية الأخرى، من النموذج ذاته، بل بما يدرك بأنك لا تستطيع مع كيبلنغ أن تخطّ خطاً يحدو وراءه بعض التظلم «شعراً»، وأن الشعر، حين يأتي، يدين بوزن تأثيره إلى كونه شيئاً فوق مستوى المجادلة، شيئاً أكثر مما أخذ الكاتب على عاتقه أن يعطيك، وأن المسألة ليست أبداً، ببساطة، ذريعة، أو مناسبة للشعر. وهناك قصائد أخرى تزداد فيها صعوبة وضع المرء أصبعه على عنصر الشعر، عمّا هو الحال في «داني ديفر». وثمة قصيدتان ترتبطان معاً، هما: «أنشودة ماك اندروز» و«ماري جلوستر». وهما حواران